النشـــــــــــرة

تصـــدرها مطـــرانية الـــروم الأرثوذكـــس في بـــيروت

العدد ١٣/١٩٩٨
الأحد ٢٩ آذار
الأحد الرابع من الصوم
أحد القديس يوحنا السلمي
البار مرقس أسقف أريثوسيون
وكيريلس الشماس والمستشهدين معه
اللحن الثامن
إنجيل السحر الثامن

الـــرســـالـــة (عبرانيين ٦ : ١٣ – ٢٠)
الإنـــجـــيـــل (مرقس ٩ : ١٧ – ٣١)

+ الأحد الرابع من الصوم

لقد رتب آباء الكنيسة القديسون أن نقيم في الأحد الرابع من الصوم الكبير تذكار أبينا البار يوحنا السلمي الذي كان راهبا في دير القديسة كاترينا في جبل سيناء في أواخر القـــرن السادس وربما حتى بدايات القرن السابع. أما سبب شهرة هذا الراهب وأهميته فتعـــود الـــى كتاب ''السلم الى الله'' الذي يتحدث فيه عن ثلاثين درجة، وهي ثلاثين فضيلة روحية علـــى كل مسيحي إمتلاكها للوصول الى الكمال الأخلاقي والروحي.

إقامة تذكار القديس يوحنا السلمي في هذا الأحد من الصوم يتناسب كثيرا مع روحيـــة الصوم خاصة من ناحية النظام الروحي والأخلاقي المطلوب من كل إنسان مسيحي يهدف الى

الإتحاد بالله. نذكر هنا ان كتاب السلَّم الى الله أو سلَّم الفضائل يُقرأ في الأديار خصوصاً في فترة الصوم المقدس.

دخل القديس يوحنا دير القديسة كاترينا وهو في السادسة عشرة من عمره وتتلمذ على يد الأب مرتيريوس. يوم ترهّبه قال عنه أحد شيوخ الدير، ستراتيجيوس، انه سيكون ''أحد أنوار العالم''. بعد فترة غير محددة اعتزل في بادية تولا على سفح جبل سيناء حيث قضى أربعين عاماً من الجهاد والصلاة والتوبة، مختبراً فنون الحرب اللامنظورة وحلاوة مناجاة الله. وكان يستقبل الرهبان الآتين لطلب الإرشاد ويزور المرضى. إنزعج منه بعض الرهبان حسداً ونعتوه بالثرثار، فقرر الصمت، وصمت صمتاً كلياً لمدة سنة كاملة، فما كان منهم إلاّ أن توسلوه كي يتكلّم لأجل خلاص النفوس.

إنتخب رئيسا للدير وطلب منه رئيسا دير ريثو ان يكتب ''الألواح الروحية للناموس الجديد''، فاستجاب له وكتب ''السلم الى الله'' وفيه ثلاثون مقالة تبحث في الزهد في العالم والدنيويات وتقود الى الإستنارة والإتحاد بالله بالجهاد المتواصل والفضائل وعلى رأسها الوداعة والتواضع والمحبة. وفي آخر حياته إستقال من رئاسة الدير وعاد الى خلوته الى حين وفاته.

صلوات هذا اليوم، الأحد الرابع من الصوم، تمتدح القديس يوحنا السلمي الذي تطهر بالصيام والنسك والفضائل، فأخضع بقوة الروح الجسد العسر للعقل المتأله. نرتل في صلاة الغروب: ''أيها الأب البار يوحنا، لما جنحت العقل نحو الله بإيمان، مقت التشويشات العالمية غير الثابتة واتخذت صليبك واتبعت المراقب الكل، وبقوة الروح الإلهي عبدت الجسد العسر الإنقياد للعقل برياضات نسكية''.

إضافة الى الصلوات التي تمتدح الراهب يوحنا وفضائله النسكية، هناك موضوع آخر بارز في هذا اليوم. فالقانون الأول لصلاة السحر يتمحور حول مثل السامري الشفوق (لوقا ١٠:٣٠ – ٣٧): ''ان اللصوص قد جلدوا عقلي بالآلام وسلبوا ثروتي وغادروني كميت، لكن أنت يا رب ترأف علي ونجني'' و ''ان اللاوي لما أبصر ألم جلداتي وإذ لم يحتمل الكلوم تجاوزني مهملا، وأما أنت يا محب البشر فسكبت علي غنى مراحمك'' (الأودية السادسة). الإنسان المسيحي المجروح بالخطيئة يقارن مع الإنسان الذي سقط في أيدي اللصوص، والسامري الشفوق هو المسيح نفسه الآتي ليشفينا مجانا.

بين نسك الراهب يوحنا وجهاداته وبين نعمة السامري الشفوق المجانية يتمحور اللاهوت الأرثوذكسي حول الخلاص. الخلاص هو نعمة الله وجهادنا لحياة أفضل. فالإنسان لا يصل الى الخلاص بجهاده فقط بل يتطلب الخلاص نعمة الله ايضا. صحيح أن طبيعتنا

البشرية مجروحة بالخطيئة ولكنها ليست عاجزة بالكلية. نعم ان الجرح عميق ولا نستطيع شفاء ذواتنا بمفردنا لأننا، كالرجل الذي وقع بين اللصوص، بحاجة الى من يعطينا وسائل الشفاء كما فعل السامري الشفوق، أي المسيح الذي أتى ليضمد جراحنا ويشفيها من فعل الخطيئة. لا نستطيع شفاء انفسنا بأنفسنا، الله فقط يستطيع شفاءنا. لكن هذا يتطلّب ان نضع يدنا في يده، وهذا يكون عبر جهادنا ضد الخطيئة بكل ما أوتينا من قوة. عندها تتضافر نعمة الله مع جهاد الإنسان فنحصل على الخلاص.

هذا هو الصوم: جهاد نسكي ونعمة الله الشافية، متضافران معاً لتقويتنا وتمكيننا من النمو نحو الكمال. الصوم هو الخطوة الصغيرة التي نقوم بها كالإبن الشاطر العائد الى أبيه، ونحن واثقون بأن نعمة الله سوف تغمرنا أكثر مما نتوقع كما غمرت الإبن الشاطر قديماً.

+ الصلاة المسيحية

صلاة ملء الزمان (الصلاة في زمن يسوع)

إذا عدنا الى الأناجيل الأربعة لدراسة موضوع الصلاة كما مارسها وعلمها يسوع خلال رسالته الخلاصية على الأرض ، نجد أن يسوع أعطى صورة دقيقة وواضحة عن الصلاة المسيحية.

نراه أولا مصليا في الهيكل، عندما كان في الثانية عشرة من عمره محددا أن الصلاة هي توجه الإنسان بكليته الى الآب: ''لماذا كنتما تطلبانني، ألم تعلما انه ينبغي ان أكون في مالا لأبي'' (لوقا ٢: ٤٩) . ثم نراه مصليا في كل محطة من محطات حياته الأرضية الهامة، كما فعل عندما اعتمد من يوحنا مثلا : ''ولما اعتمد جميع الشعب اعتمد يسوع ايضا ، وإذ كان يصلي انفتحت السماء'' (لوقا ٣: ٢١). يخبرنا لوقا الإنجيلي أن الرب صلى قبل أن يختار تلاميذه: ''وقضى الليل كله في الصلاة الى الله، ولما كان النهار دعا تلاميذه واختار منهم اثني عشر الذين سماهم أيضا رسلا'' (لوقا ٦: ١٢ و ١٣) . صلى أيضا قبل تجليه على جبل ثابور : ''اخذ بطرس ويوحنا ويعقوب وصعد الى الجبل ليصلي. وفيما هو يصلي صارت هيئة وجهه متغيرة ولباسه مبيضا لامعا'' (لوقا ٩: ٢٨ و ٢٩).

لقد حمل يسوع الذين يؤمنون به كلهم في صلاته، وعندما أتت الساعة وكان في البستان يصلي قال: ''من أجلهم أنا اسأل، لست اسأل من أجل العالم بل من أجل الذين أعطيتني لأنهم لك'' (يوحنا ١٧: ٩) ، ''احفظهم في اسمك الذين أعطيتني'' (يوحنا ١٧:

١١)، ''ليكون لهم فرحي كاملا فيهم'' (يوحنا ١٧: ١٣)، قدسهم في حقك'' (يوحنا ١٧: ١٧) ولأجلهم أقدس أنا ذاتي ليكونوا هم أيضا مقدسين في الحق'' (يوحنا ١٧: ١٩). يسوع في سر الفداء قدم ذاته ولكنه أيضا حمل العالم إلى الآب حتى ''نتقدم بثقة الى عرش النعمة لكي ننال رحمة ونجد نعمة وعونا في حينه '' (عبرانيين ٤: ١٦).

لقد علم يسوع تلاميذه أيضا كيف يصلون: ''متى صليت فلا تكن كالمرائين فانهم يحبون ان يصلوا قائمين في المجامع وفي زوايا الشوارع لكي يظهروا للناس'' (متى ٥: ٥). يطلب يسوع ان يكون القلب مركز الصلاة، منه تنطلق وفيه تستقر: ''أما أنت فمتى صليت فأدخل الى مخدعك وأغلق بابك وصل الى أبيك الذي في الخفاء'' (متى ٥: ٦). في القلب المتخشع الذي يغلق بابه عن مشاغل الحياة وهموم الدنيا تكون الصلاة صافية نقية. ولا تكون الصلاة بكثرة الكلام . يقول الرب: ''وحينما تصلون لا تكرروا الكلام باطلا كالأمم فإنهم يظنون انه بكثرة كلامهم يستجاب لهم'' (متى ٥: ٧). من هذه المنطلقات كانت الصلاة الربانية التي أعطاها يسوع لتلاميذه.

وعن طريقة طلب العطايا والنعم يعطي يسوع مثالا حيا عن الصلاة وذلك قبل إقامته لعازر من بين الأموات حين ''رفع يسوع عنينه الى فوق وقال أيها الآب أشكرك لأنك سمعت لي، وأنا علمت انك في كل حين تسمع لي، ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت ليؤمنوا انك أرسلتني'' (يوحنا ١١: ٤١و ٤٢) . هذه الصلاة تعلمنا ان يسوع كان عالما باستجابة الآب له حتى قبل ان يسأل ولكنه سأل ليتعلم الجمع الذين حوله ان السؤال الى الله يجب ان يقترن بإيمان مطلق غير متزعزع بأننا سننال ما نحتاجه من الله. وهذه الصلاة قبل إقامة لعازر تعلمنا ان هناك اتحادا تاما بين الآب والإبن ، وان الإبن المقرب ذاته على الصليب هو المقرب المقرب القابل والموزع''، كما يقول الكاهن في القداس قبل الدورة الكبيرة، وانه يعطينا ذاته في كل مرة ننال نعمة من نعمه.

لقد كان لكلمات يسوع الأخيرة (او لصلاته الأخيرة) على الصليب وقعا مختلفا إذ انها كشفت في تلك اللحظات عمقا غير مدرك لصلاة الإبن الى الآب. الكلمات جاءت قليلة ومعبرة: ''يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون'' (لوقا ٢٣: ٣٤)، ثم يصرخ ''الهي الهي لماذا تركتني'' (مرقس ١٥: ٣٤) ويتابع قائلا: ''في يدك استودع روحي'' (لوقا ٢٣: ٤٦) ثم يختتم مسلما الروح قائلا ''قد أكمل'' (يوحنا ١٩: ٣٠). إن صلاة يسوع هذه او مخاطبته للآب تؤكد ان الله الآب كما في المعمودية وعلى ثابور كان حاضرا بصورة غير مدركة، يتقبل العالم بواسطة فداء ابنه.

يسوع يعلمنا كيف نصلي:

لقد علمنا يسوع بصورة دقيقة كيف نصلي طالبا ان نتقدم بقلب نقي: ''اذهب أولا اصطلح مع أخيك وحينئذ تعال وقدم قربانك'' (متى ٥: ٢٤). و لا يكتفي بضرورة مصالحة الأخ بل يؤكد حتى ضرورة الصلاة من أجل الأعداء: ''أما أنا فأقول لكم احبوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم، أحسنوا الى مبغيضكم، وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم'' (متى ٥: ٤٤).

كذلك علمنا ان نطلب بواسطته: ''اسألوا تعطوا. اطلبوا تجدوا. اقرعوا يفتح لكم'' (متى ٧:٧) ويضيف : ''أنا هو الباب، إن دخل بي أحد فيخلص ويدخل ويخرج ويجد مرعى'' (يوحنا ١٠: ٩).

يشدد يسوع على أن تكون الصلاة، صلاة مفعمة بالإيمان: ''فكل شيء مستطاع للمؤمن'' (مرقس ٩: ٢٣). ويقول في مكان آخر لتلاميذه ''لذلك أقول لكم ما تطلبونه حينما تصلون فآمنوا ان تنالوه فيكون لكم'' (مرقس ١١: ٢٤) ، ذلك ان الإيمان هو الأساسي في عيني يسوع. فهو يندهش لعظم إيمان قائد المئة (متى ٨: ٥ – ١٣) والمرأة الكنعانية (متى ١٥: ٢١ – ٢٨) و يبكت تلاميذه لقلة إيمانهم.

يطلب يسوع ان تكون الصلاة حارة إذ ''ليس كل من يقول لي يا رب يا رب يدخل ملكوت السماوات'' (متى ٧: ٢١)، وان يرافقها السهر والجهاد لأنه عندما خرج هو الى آلامه الطوعية ''كان في جهاد و كان يصلي بأشد لجاجة وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض. ثم قام من الصلاة وجاء الى تلاميذه فوجدهم نياما من الحزن. فقال لهم لماذا أنتم نيام قوموا وصلوا لئلا تدخلوا في تجربة'' (لوقا ٢٢ : ٤٦).

لقد استعمل يسوع الأمثال ايضا ليحث على الصلاة في كل حين كمثال الصديق المزعج (لوقا ١١: ٥ –١٣)، او الصلاة بلا ملل كما في مثال القاضي الظالم (لوقا ١٨: ١ – ٨) ، او الصلاة بقلب وديع ومنكسر كما في مثال الفريسي والعشار (لوقا ١٨: ٩ –١٤)، واعدا بأنه يستجيب الصلاة المعبر عنها بالأقوال الصادقة كما في صلاة الرجل الأبرص (مرقس ١: ٤٠ – ٤٥) او الصلاة النابعة من صمت القلب والتي لا يعبر عنها بكلمات كما في صلاة النازفة الدم (مرقس ٥: ٢٥ – ٣٤).

الصلاة كما علمها يسوع علاقة حية ومستمرة بين الخالق والمخلوق ، تطال كل لحظات العمر وكل الحالات الإنسانية ، لأن الصلاة صلة ورباط لا يمكن ان ينقطع بين المؤمن وخالقه. فإن أدرك المؤمن ارتباطه الوثيق والحيوي بالله ، لربط كل لحظة من

لحظات عمره به. هذا الإنسان تكون صلاته حية أيا يكن شكلها ، لأنه يعرف انـــه لا يوجـد ظرف يحياه خارج محبة يسوع.

من أقوال الآباء

+ عندما نتوجه للمثول امام ملكنا وإلهنا ومخاطبته فلا نجعلن سعينا هذا بغير استعداد لئلا يبصرنا الملك من بعد غير لابسين الحلة اللائقة للوقوف أمامه، فيوعز الى أعوانه وخدامه بنفينا بعيدا عن وجهه مغلولين ويرد عرائضنا ممزقة أمام وجهنا.

+ لتكن حلة نفسك عند ذهابك للمثول امام الرب منسوجة كلها بخيـوط عـدم الحقـد الكامل والا فلا تستفيد من صلاتك شيئا.

+ لتكن طلبتك بسيطة كل البساطة خالية من التكلف والتزويق لأن العشـار والابـن الشاطر قد صالحا الله بكلمة واحدة.

+ ان هيئة جميع الماثلين للصلاة واحدة ولكن طلبة الواحد تختلف كثيرا عـن طلبـة الآخر، فالبعض يصلون الى الباري كأنهم الى حبيب وسيد يسبحونه ويتضرعون اليه من أجل غيرهم لا من أجل أنفسهم، وآخرون يبتغون مزيدا من الغنى الروحي والمجد والدالـة لديـه، وغيرهم يلتمسون النجاة من خصمهم نجاة تامة. وقوم يسألون الحصـول علـى نعمـة مـا، وآخرون يرجون تأكيدا كاملا لترك ديونهم، والبعض إطلاقهم من حبسهم، وآخرون الصفـح عن اوزارهم.

+ ينبغي أن ندرج في عريضة توسلاتنا شكرا خالصا قبل أي شيء آخر، ثم اعترافـا بهفواتنا وتندما حارا عليها، وبعد ذلك نعرض سؤالنا لملك الكل. هذه هـي طريقـة الصـلاة الفضلى على ما أوضحه ملاك الرب لأحد الأخوة.

+ لا تتأنق في ألفاظ صلاتك فان لعثمة أطفال بسيطة خالية من التنميـق كثـيرا مـا استعطفت أباهم السماوي.

+ لا تعتمد الى الأكثار من الأقوال في الصلاة لئلا يشتت عقلك في البحث عن ألفـاظ التضرع. فان كلمة واحدة من العشار قد استرضت الله، وصرخة ايمان واحدة خلصت اللص. فالثرثرة في الصلاة كثيرا ما تجنح العقل الى التخيلات وتشتته بينما الكلام المقتضب يجمعه.

+ لا تتقدم الى الله بدالة حتى وإن كنت قد اقتنيت طهارة بل تقـدم اليـه بـالأحرى بتواضح جزيل فتحظى بدالة أوفر.

+ وإن كنت قد صعدت سلم الفضائل كلها فصل من أجل غفران خطاياك، اذ تسـمع بولس يهتف قائلا عند ذكره الخطأة: ''أنا اولهم'' (١ تيمو ١٥:١).

القديس يوحنا السلمي

+ تـــأمـــل

هل تريد أن تعرف بشكل أكثر يقينا أن الإنسان يمكنه أن يخلص بإيمان غيره؟ مـــات لعازر (يو ١١:١ – ٤٤) وانقضى يوم ثم يومان ثم ثلاثة أيام ، وانحلت أعصابه وبدأ الفســـاد يدب في جسمه. كيف يمكن لميت له أربعة أيام أن يؤمن ويستنجد بالمخلص؟ ولكن ما كـــــان يفتقر اليه الميت كان موجودا عند الأختين. وعندما اتى يسوع سجدت له الأخت. ولما سألها: ''أين وضعتموه؟ أجابته: يا رب، قد أنتن لأن له أربعة أيام؛ فقـــال لـــها يســـوع: إن آمنـــت فسترين مجد الله'' (يو ١١:١٤)، أي ما معناه: ''أنت أتمي ما ينقص الميت مـــن إيمـــان''. وكان إيمان الأختين من القوة بحيث أعاد الميت من ابواب الجحيم. وهكذا يستطيع البعـــض، بإيمانهم لحساب الآخرين، أن يقيموهم من الموت. فاذا كنت أنت تؤمن بإخلاص لنفسك، فهلا تستطيع ان تحصل على نتيجة أكثر فائدة؟ وحتى اذا كنت غير مؤمن أو قليل الإيمـــان، فـــإن الرب صالح قد يسر بالصفح عنك. وعليه، قل أنت كذلك بكل بساطة: ''إني أؤمن يـــا رب، فأعن قلة إيماني'' (مر ٩:٢٣). أما اذا اعتقدت أنك مؤمن بحق، ولكنك لست في كمال الإيمان، فمن مصلحتك ان تقول مع الرسل: ''يا رب، زدنا إيمانا'' (لو ١٧:٥). وبمـــا أنـــك قمت بخطوة، فان الله يقوم بخطوتين نحوك.

كلمة ''الإيمان'' من حيث اللفظ واحدة، ولكنها تحمل معنين متمايزين: هناك نوع من الإيمان يتضمن موافقة النفس على أمر معين؛ وهو مفيد للنفس، كما يقول الرب ذلـــك: ''إن من يسمع كلامي ويؤمن بمن أرسلني فله الحياة الأبدية ولا يصير الى الهلاك'' (يو ٥:٣٤). وأيضا: ''من يؤمن بالإبن لا يحكم عليه، بل انتقل من الموت الـــى الحيـــاة'' (يـــو ٣:١٨؛ ٥:٢٤). يا لمحبة الله التي لا نهاية لها! لقد أرضى الأبرار الله مدة سنوات عديدة، وما نـــالوه بسلوكهم الحسن مدة سنوات طويلة، يمنحه لك يسوع في ساعة واحدة (من العناء). لأنـــك اذا كنت تؤمن أن يسوع المسيح رب، وأن الله أقامه من الأموات، فـــأنت تخلـــص (رو ١٠:٩)، وتنقل الى الفردوس بواسطة ذاك الذي أدخل اللص اليه. ولا تشك في أن ذلـــك ممكـــن، لأن الذي أنقذ اللص الذي آمن، بعد ساعة واحدة من الإيمان على هذه الجلجلـــة المقدســـة (لـــو ٢٣:٤٣)، هو نفسه يخلصك أنت الذي آمنت.

وهناك نوع آخر من الإيمان يمنحه المسيح علاوة على النعمة: ''يتلقى واحـــد مـــن الروح كلام الحكمة، وآخر يتلقى، وفقا للروح نفسه، كلام المعرفة وسواه الإيمان في الـــروح نفسه، وآخر هبة الشفاء'' (١ كور ١٢:٨ – ٩). ها هو الإيمان بحسب النعمة التي يمنحـــها الروح. إنه ليس عقائديا فحسب، بل يعمل أعمالا تفوق قوى البشر. فمن له مثل هذا الإيمـــان

ويقول لهذا الجبل: ''انتقل من هنا الى هناك، ينتقل'' (متى١٧:١٩)، من يقول ذلك وهو يؤمن أن الشيء سيحدث (مر ١١:٢٣) ، ولا يشك في قلبه، ينال هذه النعمة. وقد قيل في هذا الإيمان: ''لو كان لكم ايمان مثل حبة خردل...'' (متى ١٧:١٩)؛ وحبة الخردل صغيرة الحجم، ولكنها تتمتع بفاعلية قوية، ولو هي زرعت بموضع ضيق لأتت بأغصان هائلة يمكنها أن تأوي طيور السماء (متى ١٣:٢٣). وهكذا الإيمان في النفس، مدة لحظات يأتي بالعجائب؛ إنه يتمثل الله ويحاول أن ينظر اليه في ضوء الإيمان على قدر الإمكان، ويصل الى أطراف العالم، وقبل أن ينتهي هذا الدهر، يري دينونته وتحقيق المكافآت الموعود بها. فليكن لك في الله الإيمان الذي يتوقف عليك، لكي تنال هذه القوة التي تفوق القوى البشرية.

القديس كيرلس الاورشليمي

(٣١٤-٣٨٧)